

الايام الثلاثة الاولى بالكويت

الصداح ينتقل بين الزهور في الصباح الباكر في نشوة الندى .

والحديث بين الشباب لا يسير مستقيماً بل هو كالترموتر يرتفع فجأة من ضحكات الشباب القوي ومن السرور المتدفق من قلوبهم الفتية الضاحكة .

ثم يأتي الضيف الكريم إلا أن يكون مرناً في ضيافته وكرمه فيتنزل قليلاً ويشاركنا في سرورنا ، أو قل إنها الشيخوخة الشابة تود لو ترقب عهد الشباب من بعد لتعيد إلى الذاكرة عهداً ذهبياً يتمنى كل إنسان أن يعود إليه . وكان ليوم الضيافة قصة وأية قصة !! فقد تركنا منزل الضيافة صباحاً إلى العمل لنعود إليه ظهراً لتتناول آخر وجبة من وجبات الضيافة أو بعبارة أخرى لنودع الكرم في أكمل صفاته وأروع صورهِ أو لنودع عهداً ذهبياً إلى عهد علمه عند عالم الغيوب أو لنودع الرقة والوداعة والعطف الأبرى إلى حين .

قلت إن هذا كان ما اتفقنا عليه ولا أكتف على القراء الكرام أية صدمة نفسية ولوعة حطمت آمال الأستاذ « حامد » زميلنا الذي كان يود أن تطول الضيافة إلى ما لا نهاية ، وكان يود ألا يكون سعادة مدير التعليم عربياً في (مدة) الضيافة فكان يود أن تنتهي السنة الدراسية على هذه الحال من الراحة والهدوء دون أن يتكبد مسؤولية الحياة في مسكنه الجديد وبين مجموعة لا يعلم من أمرها شيئاً رغم مصريتهم !!

ولا أكتف قرائي أننا الأربعة ما كنا أقل منه رجاء في هذا الذي أمل فيه ورجاه لنفسه .

وأعود إلى قصة الوداع فأقول إننا حين ذهبنا ظهراً إلى منزل المدير وجدناه خاوياً فانتظرناه طويلاً متذرعين بالصبر الجميل غير ناسين له عطفه ورقته وكرمه - ثم طال الانتظار وطال حتى كاد وقت الغداء أن ينقضي دون أن نرى طعاماً كما كنا نتعود أن نراه ألواناً على المسائدة . وهنا أستمح سعادة المدير عذراً إن أنا صارحته بما دار في نفوسنا الأمانة بالسوء . قلنا إنها خاتمة للضيافة قاسية لاتحملها نفوسنا

ما كادت تصل سيارات البعثة المصرية أبواب الكويت حتى استقبلها رجل مصر البسار وهمزة الوصل بينها وبين حكومة الكويت سعادة مدير التعليم الأستاذ (طه بك السويقي) ومعه رهط من السيارات الأنيقة تحمل بعض رجال الكويت فكانت هذه تحية طيبة أزال رقتها من أجسامنا وعشاء السفر بين البصرة والكويت بالسيارات ، وتلك شخصية مدير المالية تلفت النظر لأول وهلة لنشاطها الملحوظ . فقد أتى كرمه إلا أن يصحب البعثة ويوفر لكل عضوا راحته وسكنه ، وها هي سيارة سعادة مدير المعارف طه بك تحملني وأربعة من زملائي المدرسين إلى منزل المدير العام . فكنا بهذه الضيافة الكريمة أسعد حظاً من زملائنا الآخرين لأننا لم نصدم بما يصدم به الغريب في الساعات الأولى لنزوله بلداً لم تطرقه من قبل قدماء ، منزل رحب كرجاء صدر الضيف الكريم وعطف ملحوظ في كل أمور الضيافة فاض به قلب الأبوة حين احتضنت البهنة بعد غيبة طويلة وشوق حار .

وكان سعادة المدير عربياً في ضيافته فقد استغرقت الضيافة أياماً ثلاثة ذقنا في خلالها كل ما حوت الكويت من ألوان الأكل والشراب ، وكان لهذا ضرره البالغ حين انتقلنا في اليوم الرابع إلى مسكننا الخاص أعلى المدرسة ، لأننا في هذا اليوم بدأنا نعرف أثمان الأشياء الباهظة وبدأنا نعرف أيضاً كم يتكلف الكريم حين تجود يده ، وعرفنا أيضاً مبلغ ثقلنا في تلك الأيام الثلاثة لأعلى رب الدار فما يحسب هو لهذا حساباً وإنما هو محض شعور منا نحن ، وهل يفوتني قبل أن أترك الدار العامرة التي احتضنتنا وقبلتنا تحية الوصول ، هل يفوتني أن أذكر تلك الجلسات العربية على الحشايا في الفضاء الواقع أمام الحجرات . فهذا هو الأستاذ « يحيى أبو حمدة » بجلبابه الأبيض الرقيق الذي يظهر من تحته بعض ما يستر به جسمه من الداخل ، هاهو ذا يلتقي بجسمه الطويل المديد على الحشية فلا تكاد الحشية تظهر من تحته ثم يدور الحديث عذبا كالرحيق ، أو كالطير

الآية وقلنا إنا كنا نود أن يوزع عطفه توزيعاً متناسباً مع الأيام ، ولا يصدمنا هذه النهاية التي تؤذن بسرعة الرحيل .

ولكن لشدة ما كانت دهشتنا عند ما وصل المدير فجأة بسيارته ونحن في غمرة الأفكار الغريبة التي كان يسيطر عليها الجوع . فعلنا منه أن جلسة المعارف استغرقت كل هذا الوقت وأنه يأسف لهذا التأخر وعتب علينا أن ننظره دون أن نتناول الغداء ، وكان لهذا الكلام أثره البالغ في زوال ثورة الكرامة وثورة الجوع معا . إلا أنني لأ أكرم القراء أنني وزملائي قد قبلنا هذا العذر بحذر لأن ثورة الجوع والكرامة كانت لا تزال لها باقية وأثر . ومع هذا الحذر كنا شديدي الرغبة في أن ينتهي من عذره سريعاً وألا يطول في شرح أسباب التأخير لأن بطوننا الخمسة كانت تتادى المدير ليسرع في طلب الغداء ؟ .

ولعل هذا الحذر الذي ذكرت لم أكن مبالغاً فيه لأن سعادة المدير أعطى تعليماته لسائق السيارة أن ينتظر وعلينا من هذه الإشارة أن أمراً لا بد سيقع قريباً بعد الغداء وأن هذا الأمر يعيننا نحن الخمسة الضيوف .

ثم انتهينا من الأكل ولم نعلم من شدة الجوع متى ابتدأناه . ولعل هذا النهم وهذا الخروج عن المألوف قد لفت نظر رب الدار فاعتبر أن هذا تحد من الضيوف وأن عهداً جديداً أو مؤامرة تأمروا عليها لا بد واقعة ! ففكرتم ففكر وقال لنا ولما يجف الماء من أيدينا التي غسلناها بعد الأكل - قال إنه أمر العمال أن ينتهوا اليوم ظهراً من عمارة مسكننا الجديد وأكد لنا تأكيدهم شديداً أن المسكن انتهى ويرحب بنا كل الترحيب فكانت هذه العبارة إشارة إلى الرحيل فصرنا إلى حقائقنا نعددها وفي كل عين دمة ! ! وفي كل قلب خفقة ! ! وفي كل نفس لوعة ! ! وهانحن تجاه الباب نخرج لاستقبال السيارة التي طال انتظارها وهاموسعادة المدير يقف بجانب الباب في انتظارنا وقد مديده مسلياً ومودعاً وفي فمه ابتسامة لها عنده تفسير ومعنى ! ! ولها عندنا نحن الخمسة تفسير آخر ومعنى آخر ! وهكذا تركنا الدار العامرة لربها بعد أن جعلنا لها

أرباباً من دون ربها طوال أيام ثلاثة وتركنا مع الدار كرمالو علم به (حاتم) في قبره لقام متحدياً ومناشاً . وتركنا مع الدار حياة سعيدة هائلة ناعمة لنبدأ حياة أخرى

الهزل المبكي ...

نعلم أن الحياة ليست حلاوة خالصة ، كما إنها ليست مرارة دائمة عند أغلبية الناس ولنا لنكيل النقد المر للذين يتخذون من حياتهم محزنة ومنذبة ، كما إننا نكيل النقد ذاته للذين لا يرون في حياتهم إلا مهزلة ضاحكة لا تستحق عناء التفكير والعمل الجدى ولكننا نرضى عمن لون حياته فأعطاها من الجد صبغة ومن الهزل أخرى . مع التوفيق في اختيار الظروف المناسبة لهذه وتلك ولقد يطيب لبعضنا نوع من الهزل لا يطيب لبعضنا الآخر ، وذلك حسب التركيب الخلقى والعاطفى لكل منا ، فهناك الهزل البريء الساذج وهناك الهزل المفرض الذى يملأ الأشداق لحظات بالضحكات الرنانة ثم ينجلي عن جروح قد لا تحس في أول الأمر ، ولكن آثارها تظهر فيما بعد فى النفوس والقلوب ، ثم تتمخض عن تقطيع للروابط بين الناس وتفرق للشمل وإبراز للمعائب الشخصية التافهة التي لا تضر أحداً

يتزعم هذا النوع من الأحاديث الهازلة المظهر قوم ضعاف الخلق ، قصرُوا عن أن يبعثوا المرح فى نفوسهم الكالحة ، ولم يطبقوا أن يبدوا على حقيقتهم التعسة ، فأرسلوا ألسنتهم بالمضحك المبكى من القول ، يستهزئون بهـذا ويضحكون على ذلك ، ويضخمون التوافه ويوزرون الأحاديث ، ويعمون الحقائق

يا أصحاب البصائر : هل تعلمون أنكم يا ضحاك الناس على الناس إنما تقطعون أواصر الإنسانية التي تنتسبون إليها مع الأسف الشديد !

الكويت

ت

ستعرفون شيئاً من أسرارها فى مقال آخر وتحية طيبة وتمنيات صادقة من الأعماق حتى نلتقى فى صفحة من صفحات هذه المجلة الغراء قريباً إن شاء الله ؟

صالح جمال محمد

ناظر المدرسة المباركية بالكويت